تأويل الخطاب النقدي المقاوم ليمنى العيد من خلال كتابها في النفاق الإسرائيلي

حجاج فاطمة (طالبة دكتوراه)
أ.د عبد الحميد هيمة
جامعة قاصدي مرباح ورقلة(الجزائر)

ملخص :

نسعى في هذا البحث إلي إبراز خصوصية النقد الأدبي في أبعاده المقاومة، لدى يمنى العيد والذي نشأ في ظروف الاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان ، وما خلفه من أثر عميق في الكتابات العربية عموما و كتابات يمنى العيد، خاصة في كتابها " في النفاق الإسرائيلي، قراءة في المشهد و الخطاب" و هذا في ضوء مرجعيات و حدود الدراسات الثقافية، كما ترنو هذه المحاولة إلي دراسة المفارقات والتحولات عند يمني العيد ، والتي أفسحت مجالا لبيان الحقائق الجوهرية التي تأصل مفاهيم النقد و المرجع والسياق الثقافي، و تحتضن العمل الأدبي في تقنياته الفنية و أبعاده الفكرية و الإنساني، لتكون أكثر دقة في تحليل وتفسير المتن الأدبي وسياقه الاجتماعي و الثقافي.

الكلمات المفتاحية : الخطاب - الكولونيالية – الاديديولوجيا – الصورة الاعلامية – اللغة

Abstract:

In the present research I was able to see the research carried out by YEMENI EL AID, who used criticism as a means to study literary works and to explore a reality on all after the Israeli invasion of southern Lebanon, which Had an impact on Arab creativity, in the light of the references and limits of cultural contexts, this critical use can often be influenced by thought or ideologies that have invaded the universal critical space and all the Arab space, It has been difficult to differentiate between creativity in its ideological frame of reference and creativity in its textual frame of reference, besides this research tries to study the paradoxes and transformation in YEMENI EL AID, which gives rise to the flourishing of essential truths For the roots of the concepts of criticism, the reference and the cultural context, and to collect the literary work in this artistic technique and its humanist world, so that it is more precise in consolidating the relationship between it and criticism in the analysis of the literary text and its social context or whether it is considered as a living memory.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تحاول هذه الدراسة قراءة واقع النص النقدي المعاصر، الذي أضحي يعالج أثر المعاناة التي تنتقل من الواقع الحي إلي متن الكتابة العربية المحلية وتأثير قيم مناخها الاجتماعي فيها، فيكون من الصعب غض البصر عن الجوهري الذي جعلته القيم الغربية الوافدة إليها مجرد هامشي لا وزن له، وكان هذا مدعاة إلي الاهتمام بعالم النص داخل سياق يستحضر المعاني والمدلولات، لتكون آلية القراءة تستفيد من إجراءات ممارسة تبقي مرتبطة بمرجع حي على حد قولها " قرأت فيه ما قرأت من نصوص" [1]، وربما كان هذا المشروع الذي تقدمه يمني العيد في نقد الخطاب الإسرائيلي أمرا طبيعيا وهاما لتأصيل الهوية والحفاظ عليها بعيدا عن تضليل السياسات الإسرائيلية، أو أحقية هاته الشعوب في تأدية وظيفة اجتماعية وإنسانية ووطنية ودينية ومقاربة مؤلف يمني العيد " في النفاق الإسرائيلي قراءة في المشهد والخطاب" هو رؤية لواقع النقد العربي المعاصر من خلال نقد النص من أجل نقد الواقع ، والخروج نحو السياقات التي تحيط بإنتاج العمل الأدبي وتأثيراتها ، ومما لا شك فيه أن البناء العام للنقد يستغل تفعيل مرجعية الأفكار الأيديولوجية المقاومة، حيث تصرح الناقدة بقولها "فالكلام عن ثقافة المقاومة لا يصدر في قولي عن تنظير ، بل عن معاناة واقعية نعيشها في تاريخنا الحديث ، وتتمثل فيما تعلنه الايدولوجيا الصهيونية للرأي العام العالمي ، وبين ما نراه في ممارستها علي الأرض ضدنا ، وقد تجلي هذا التناقض حيا ومرئيا ومباشرا "[2].

1- النسق الثقافي وأيديولوجيا الخطاب النقدي : في هذا العالم لا يسهم الواقع في إنتاج إشعارات مبهمة فقط، إنما يتعدي الآمر إلي ترويج الأفكار والمناقشات لإزالة هذا الإبهام و لترسيخ مستقبل الثقافة العربية، وتعبير عن تجربة تراجيدية من طراز فريد اختص بها النقد لإيفاء التاريخ الحياتي والثقافي والسياسي والأدبي حقه، من ممارسة المفارقات التي تقبل الواقع أو ترفضه فيما تتوسع هذه الأعمال وتشمل النقد الثقافي من أجل تحديد الهوية أو بمعني أخر استعادتها من جديد، وقد تناول (ادوارد سعيد) هذا المفهوم في قوله "اخترت أن أستعيد هويتي العربية ، ولكني عربي لا يتلاءم تاريخه تماما مع تقدمه في العمر، ومن منظاري الجديد بوصفي عربيا بالاختيار، أعدت قراءة حياتي المبكرة بما هي بحث و تحرر من القوالب الجامدة للعائلة والدين والقومية واللغة أيضا "[3]، فالهوية والانتماء الثقافي طال ما كانت هاجسا يعلن الانتظار، وهذا الانتظار هو غيث الأمل تراه يمني العيد ميراث الأمة وزادها حين تقول "ولكن لابد من الأمل أعلنه أرثا للشباب، ولأجيال قادمة، قبل أن يبلغ السيل الزبى ويجرف ما جرف من هذه البلاد التي نعيش فيها "[4]، وقد تتجاوز بذلك إشكالية الانتماء الجغرافي إلي حدود أبعد تتشابك فصولها لتبرز معلما ثقافيا أخر، هكذا تكتب يمني العيد وهي تبحث عن ثغرة هذا الوجود "أكتب وأعيش ثقافة التجاور ..وبين السؤال، وسؤال الهوية والانتماء..كأن الهوية والانتماء خارج المكان كأنهما في قلمي، وفي الكلمات فوق أوراقي البيضاء، كأنهما في الحد الفاصل بين المتقاتلين داخل أورقة الوطن..في نبضات القلب ، وفي نقطة نور لا تني تضيء الذاكرة "[5]، وقد يكون من المفيد أن نوضح أن هناك مفارقة بين خطابنا نحن وخطاب الأخر عنا، وهذا النوع من التناقض مهمة تقويض المبهمات وإعادة تركيب الحقائق، أي أن نعي جيدا ما هو بديهي في ذواتنا لأننا من نحب الحقيقة ومن ندافع عنها، في مقابل الآخرين أو إسرائيل التي تحب شيئا أخر وبالتالي تريد أن يكون ما تحبه هو الحقيقي [6]، فيرتبط الخطاب بناءا على ذلك بمنطق السلطة وعلاقاتها المتشعبة بالمفاهيم الاستعمارية، في إطار فاعلية المقاومة تحت لواء النضال من أجل الحريات، ضد الخطابات التي تلغي هذا الوجود أو أن تجعله تحت سلطة القيم السالبة التي يخفت في خضمها نجم الثقافة العربية، "غير أن الحركة المقاومية و التاريخية الفعلية كانت تأخذ في لبنان خاصة والبلدان العربية عامة ، منحي أخر كالانتقال إلي رأس مالية تبعية، أي الانتقال من السيطرة العثمانية إلى السيطرة الامبريالية، لم يكن ليحل التناقضات الإقطاعية الجذرية ، بل ذهبها في تعمقها ، من هنا كانت خيبة الأمل في رؤية المجتمع يرتفع إلي مستوى التطور المأمول ، ومن هنا كان

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يأس الرومانطيقية في رؤية تحقيق مثلها عن الحرية والعدالة . وفي مواجهة هذه الظاهرات الاجتماعية الجديدة ، وكان الرومانطيقي يجهل الأسباب الحقيقية الكامنة في بنية العلاقة الكولونيالية "[7]

لقد مال النقد عند يمني العيد إلي الكشف عن موقف ذاتي بحكم انتمائها العربي الذي تجسده كتابات ترفض الوضع الحالي الذي آلت إليه الأمة العربية، وتراكمت عليه الخطابات النقيضة التي تهيمن على واقع اجتماعي وراء اللغة والخطاب، والتي توجه الإنسان والمثقف العربي الذي لم يبقي لديه إلا الأدب والنقد لتأكيد مفاهيم المقاومة بعد أن عجزت منابر السياسة والمعاهدات الدولية والميادين الاقتصادية من الفصل في قضايا الهوية والوطن، والواقع أن المقاومة هي المواجهة ومن أجل البقاء وكسر الزمن ولعبة الحدث الذي يفصل الارتباط القوي والعاطفي بيننا وبين أرضنا وخطابنا وهويتنا، خاصة منها لبنان وفلسطين بالدرجة الأولي ، وفي خضم كل تلك المشاكل والمواجهات والمتناقضات الداخلية والخارجية التي تؤكد بدرجة أكبر أن الفكر المقاومي في النقد العربي تجاوز فكرته كتوجه سياسي إلي اعتباره إنتاج إبداعيا يضم انساقا ثقافية معينة "فحين يكون المحيط العام سيئا لابد وأن تعاني اللغة " وفق هذا التصور نتساءل لماذا نترجم واقع النقد العربي الذي تتراكم مفاهيمه بعيد عن بنية الوظيفة اللغوية إلي المفاهيم الإيديولوجية والسياقية، وما يحيط بها من مواجهات تنصب مجملها في كتابات ما بعد كولونيالية، ربما لأننا نود حقا أن نرى الواقع من منظور المتاح والممكن، من منظور أن هذا ما حصل فعلا، لا ذاك الذي قيل تحت سلطة الرؤى الفكرية الحديثة لفكر ما بعد الحداثة والفكر الكولونيالي، الذي كان شاهدا على سعي الخطاب للدفاع عن القضايا المهمشة والإعلان عنها، وعلى هذا الأساس نلامس في كتاب يمني العيد نزعة لرفض الزيف ، وانزياح المعاني عن مدلولاتها بشكل يستغل القبح بدل الحسن، في النفاق الإسرائيلي قراءة في المشهد والخطاب تستهل الناقدة كتابها " إلي شهداء الاحتلال الإسرائيلي الذي اجتاح مدننا، و خرب بيوتنا، و أرهب أناسها الآمنين فيها، إلي الشهداء الذين دافعوا عن حياتهم وبيوتهم وتراب أراضيهم "[8]، فماذا جنينا من هذه الحرب غير هذا القتل والدمار، فأي قيمة نصل إليها إن لم نقف عند معني دور الخطاب ونقده في مهب الحرب .

المقاومة العربية في الكثير من تجلياتها برزت في أشكال متعددة لكن المقاومة النقدية كانت حدثا مفارقا في تأصيل خطاب النقد العربي المعاصر، فالهدف الذي طالما كان مرجوا لا يتعدي أن يكون ما طرحه (شيلي وليا) في كتابه (ادوارد سعيد وكتابة التاريخ) حين قال" تحاول الكتابات التاريخية ما بعد كولونيالية، من جهة أخري أن تزيل اللبس عن المسعى الإيهامي الذي تستتر بنيته الأيديولوجية خلف واجهة الحواشي الأكاديمية و خلف ستار الحقائق "[9] ومثل ذلك ما رمي إليه الدكتور(صادق العظم) في كتابه " النقد الذاتي بعد الهزيمة " أن النقد لا ينتظر منا أن يكون مختلفا ومضادا ، يفتح أقضية محرمة ، أو يدمر أجوبة جاهزة أو ينتج أسئلة تؤسس لتفكير وعمل مختلفين ، ولذلك كانت مناقشته الشيقة للهزيمة جزءا من مناقشة شائعة في تلك الفترة ، والتي تضمنت تفسيرات متعددة كالأنموذج الذي يستعين بوهم السيطرة الصهيونية تابعة لأمريكا ، أو مسيطرة عليها ، أو النموذج الذي يتصور أن دعم الدول الاستعمارية الجديدة لإسرائيل يتناسب طردا مع حجم المصالح الاستعمارية في الوطن العربي ، وهي تفصح عن تفسير يزيح المسؤولية عن النفس ويسقطها علي الغير ، كما يرتبط بعوامل تدخل في بنيان المجتمع العربي"[10] ." المرجع الحي العربي يحول إمكانياته المتاحة إلي فعل مقاومي في حرب الثقافة التي تقاوم حربا تهدم وتشوه باسم الثقافة "[11]، في مواجهة نقيض ثقافة الأخر ،الذي يتخذ من ضعف الجانب العربي وسيلة لتغلغل في مقوماتها وكسر نظامها الذي توارثته لعدة أجيال بحيث يفقدها أهمية الكيان العربي ، من جانب أخر ترى الناقدة أن إسرائيل تراوغ بجعل ظاهر الخطاب يبتعد عن إدراك الباطني المراد منه ، وذلك يمكنها من طمس الأدلة التي تؤكد صراحة بجرائمها المرتكبة في الأرض العربية (جنوب لبنان ، والأرض المحتلة)، وهو خطاب لحفظ ماء وجهها نتيجة أفعالها أمام أنظار العالم ، وفي نفس الوقت الحصول على تأييد جماعي لما تفعله من قمع وتدمير، مرتكزة على هدف أساسي سطرته منذ دخولها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلسطين تمثل في مفهوم الدفاع عن الهوية اليهودية ولملمة الشعب المنتشر في العالم، من ذلك الذي جاء في هامش كتاب "عالم بلا يهود" أن "تيودور هورتز 1860-1904 وهو يهودي مهجري المولد وقد عمل هذا الأخير كصحفي ومراسل لمجلة "New ferei" من باريس وعاصر القضية المعروفة باسم (قضية دريفوس) أو القضية (L'affaire)، والتي بسببها قال أنه رأى أن اندماج اليهود في مجتمعاتهم مستحيل ، وبدأ يفكر في إيجاد حل للمشكلة اليهودية وسنة 1896 نشر كتابه "الدولة اليهودية " ولم تكن ثقافته ثقافة يهودية ومن ثمة لم يختر فلسطين أرضا لليهودية ، ولم يطالب بأن تكون العبرية لغة الدولة ، ولكن حركة عشاق صهيون أصرت في المؤتمر الصهيوني الأول سنة 1897 على اختيار فلسطين"[12]، العودة إلي الأرض كما وضح هارتز في كتابه (الأرض القديمة الجديدة) سنة 1902، وبهذا الصدد تذكر يمني العيد" في خطابها الذي نسمع ونقرأ تنسب إسرائيل إلى جيشها صفة الدفاع فتسميه جيش الدفاع الإسرائيلي)"[13]، لقد امتلكت إسرائيل حجة الدفاع لذلك بدلت المواقع ، وهي حيلة ذكية لأسر الرأي العالمي، فهي نقطة هامة لمواجهة النزعة المقاومية التي تشنها الثقافة العربية بفكرها ودينها ضد الكيان الصهيوني، وسعيها لإلغاء مركزية القمع الذي تعمد إليه وإعطاء الحرب أبعاد إنسانية واجتماعية، وفق ما هو متاح للخطاب الايدولوجي بخلق صورة تستغل وعي العالم وتكسب دعمه.

2-**تأويل الخطاب الإعلامي الحاضر في الواجهة الثقافية :** يمني العيد تقرأ خطاب إسرائيل ، لأنه مبطن بخطاب الحرب ولأنه يروج لسياسة استعمارية " وهذه القيم التي ينطوي عليها خطاب الحرب ومعادلها الثقافي، تتلخص في صناعة الأقنعة من جهة وصياغة القناعات من جهة ثانية، و لعل الإعلان والإعلام المتقنين يبدوان اليوم من أهم وسائل صنع الأقنعة وصياغة الخطابات المقنعة "[14]، فتجعل من الصورة والخطاب الإعلامي لها ركيزة لتوجيه خطاب مناهض يعكس الواقع الثقافي الأيقوني المعاصر، تركز على هيمنة الصورة الإعلامية ودورها في فرض السيطرة على نطاق خطابها الاستعماري و تتجاوز بذلك المجال اللغوي في مقابل قوة الصورة التي تنقل الحدث والخطاب في آن واحد، يمني العيد تشير في كتابها " في النفاق الإسرائيلي قراءة في المشهد والخطاب "أسبوع كامل أغلقت إسرائيل مدينة صيدا على دمارها وقتلاها، منعت الصحفيين من الدخول، روبرت فيسك الصحافي البريطاني يشهد علي ذلك، كان عليه أن لا يقول ما رأي، عندما دخل فيما بعد، وأن لا يحكي على ما تعرض له من منع، عند وقوفه على مدخل المدينة مهددا بالفضيحة، كان عليه أن ينتظر أياما تسمح لإسرائيل بإخفاء معالم المجزرة "[15]، لقد سمعنا الكثير عن اجتاحها لمدينة صيدا ولمسنا بشاعة المجزرة لكن عيون العالم لن تلتفت إلا لصورة تتركها إسرائيل في خطابها الإعلامي وبذلك يكتسب الخطاب اللغوي دعما أقوى، ومنه يتشبث في صرامة وبرود على تحقيق دلالة مشهد كفيلة لوحدها بإغراق المحيط الثقافي بمصطلحاتها السياسية، الأمر نفسه ينطبق على المفردات التي يريد السياسي دمغها بمحتوي سلبي، فيلجأ إلى استخدامها في سياقات سلبية دون تحديد معناها، فتستسقي مصطلح الرفض من الكتابات الأدبية التي نضجت على فعل المقاومة للوجود الصهيوني الذي شجع الإحباط واليأس وأنهك النفوس، وقد أكدت أن الوصول إلي هذه السياسات يترجم الواقع الأدبي والنقدي حتى يتماشي مع المحيط الثقافي والبيئة الاجتماعية .

الناقدة توجه خطابا مختلفا، خطابا لا يفصل التاريخ و الأدب عن سياقاته الثقافية فقط ، وإنما يصور درجة الوعي لخطاب المستعمر في محاولة منها لإعادة ترميم الهوية العربية رغم إغراءات الحداثة والتواطؤ العربي والغربي وتستشهد الناقدة بالعديد من الصور المشهدية التي تستنكر هذا الاحتلال في لبنان، و انحيازه لاستغلال العالم المجتمعي بعوامل الاتصال لتأكيد قيم غربية قد تحل في يوم ما مكان قيم المجتمع اللبناني والعربي بإضفاء الغموض علي الخطاب السياسي، فترى الناقدة أن نقد الخطاب الإعلامي هو تصحيح للمعلومة المرسلة وفاعليتها في تحريك وخلخلة الوعي المدرك، ودورها في إسداء الستار على تشويه الفهم وإغراق العالم داخل تركيب الصورة التي تريدها المؤسسات العليا في العالم وتختصر إيديولوجيته و أفاقه و أهدافه وطموحاته، في مشهد مرئي يتغلغل إلي وعي الأمة وثقافتها ، بتحديد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لغة خطابه وإعادة قراءته من جهة أخري وقد استعملت الناقدة مصطلحاتها النقدية التي تمس القيم الاجتماعية للاحتلال لتبسيط الصورة وترويض الواقع الحي الذي تعيشه لبنان في مواجهة خطاب الكيان الصهيوني، الذي تستغل مرجعها من ميراث ثقافي تتوهم أصالته وتؤرخ له باستغلال الوضع السياسي المضطرب في الساحة العربية " إنه مرجع حي مازال في القراءة الشفهية وفي الوعي الصامت أو في التعبير الصوتي المصدوم ، مرجع حي معيش في لحظة انكسار ، وحاضر في وعي مباشر معيش تحت هول المرئي، وهو الذاكرة الراهنة محمول كأنه لا يري، كأنه مطابق بين الذهني المضموني والمشهد الملموس، وهو في كل ذلك يشكل مادة لمقولة الاحتلال "[16]، و من هذا التصوير الذي يؤول التعبير عن مركزية المتخيل الفكري، نقف عند المشكلة التي كانت ولا تزال تنخر سلام العالم ألا وهي المشكلة اليهودية أو الوجود الصهيوني على الأراضي العربية بين الحرب والسلام خطان متساويا لا يلتقيان، هنا يخلق تقويض قيم تشتيت العالم واندثاره في مقابل حفاظ إسرائيل على نفسها، و ضياع الهويات على حساب هوية مزيفة تنطوي تحت مصطلح النفاق "إسرائيل أصبحت الدولة الأعجوبة بين الدول ، فهي الدولة المسكينة التي يحاصرها بحر العرب يناصبونها العداء وتتعاظم قوتهم كل يوم، لكنها تتصرف كأنها دولة عظمى فتفرض إرادتها وسطوتها على هؤلاء العرب ، ولا تفتأ تتحدث عن ذراع إسرائيل الطويلة، وتقرر بقنابل الطائرات أن لها، ولها وحدها حق تحديد سقف التطور العلمي والتكنولوجي للعرب أجمعين، وعلى نحو ما فعلت بالمفاعل النووي العراقي، حين أصبح العالم يحار كيف يعاملها ، هل هي دولة من الدول تدافع عن مصالحها الأمنية المشروعة أم هي عنصر لعدم الاستقرار في النظام الدولي ، كما قال دبلوماسي إسرائيلي بارز "[17] ، الحيرة صاحبت وجود إسرائيل في الساحة العربية بين المقاوم الذي يتجلي في الجانب العربي وبين الداعم الذي يبيح أساليبها ، كان لبد أن يظهر نوع من الكتابة يجسد هذا الاختلاف وإن كانت الظاهرة الكولونيالية قد دفعت بنفسها إلي ساحة النقد لترجمة الواقع النقدي المقاومي بتفكيك النص وتأويلاته وعلاقاته فهنا "تتوكب العلاقة بين الفردي والجماعي /الذاتي والكوني بين المتخيل والواقع المادي بين مستويات على اختلافها ، وبين ما هو في هذه المستويات حركة صراعية تنمو بالزمن تستثمر العلاقة في كمولها ونقصانها ، بين المتخيل والواقع المادي ، بين زمن الكتابة والزمن المعاش ، بين حركة الفكر في إنتاجها زمن الكتابة ، وبينها في إنتاجها فهما بهذا الزمن ، بين الفكر في ممارسة المعاش وبينه في إنتاج معرفة بما يمارس " [18] .

لو توقفنا عند حدود المستويات التي تخلق طبيعة الخطاب الكولونيالي العربي، لأدركنا بصورة واضحة أن إنتاج الخطاب العربي الأدبي أو النقدي قد أرتبط بدرجة كبيرة بممارسته على أرض الواق ، حتى يكون أقرب ما يكون إلي تجاوز التساؤلات المتعلقة عن بداية هجوم النقد على الخطاب الاستعماري، ناهيك عن النواحي الثقافية التي ترسم منحني الخطاب الذي تهيئه البيئة ثقافية، كما أن المهمة التي أوكلها النقد إلي نفسه في العصر الحديث، تتجاوز تلك المهمة التي تنقب عن صفاء النص وأصالته في حدود اللغة ، أو في بناء المعني وتأرجحه بين الواقع والخيال إنما تعدي الأمر في الكتابات النقدية الحديثة إلي ابعد من ذلك إلي الفعل المقاومي في اللغة وفي النقد ، كما الأدب وكما الشعر، لذلك كان إقرار يمني العيد أن دور التوجهات النقدية الحديثة في قراءة مسارات الثقافة هي من أولويات التكوين الداخلي للمجتمع والواقع، وما يترجمه المرجع الذي يكسب المعنى أفاق الاستمرارية وانعكاساته على الكتابة النقدية العربية بمختلف أطرها تجسيدا لفعل رافض لإسرائيل.

إن غياب الإخلاص في تبني الأهداف المعلنة والخفية التي تواكب العلاقة بين المتاح والمخفي المستهدف، الذي يستسيغ تزييف الواقع في جعل الصورة أكثر مصداقية أمام العالم بعيدا عن المرجع الحقيقي، لان الصورة والمشهد وسيلة من وسائل التأثير الصهيونية فكل حركة، كل قول إعلامي هو لخدمة إسرائيل، هو وسيلة أخري لفرض السيطرة لذلك تركز الناقدة علي المشهد في تحليل الخطاب إسرائيل" أسبوع كامل أغلقت إسرائيل مدينة صيدا على دمارها وقتلاها، منعت الصحفيين من الدخول ، روبرت فيسك الصحافي البريطاني، يشهد على ذلك كان عليه أن لا يقول ما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رأى . عندما دخل فيما بعد وأن لا يحكي عما تعرض له من منع عند وقوفه على مدخل المدينة مهددا بالفضيحة كان عليه أن ينتظر أياما تسمح لإسرائيل بإخفاء معالم المجزرة ..."[19]، الصورة التي تلقي بها إسرائيل في واجهة خطابها الإعلامي تعمل على ترويض خطابها الاستعماري لصالحها ، بحيث يشمل ذلك كل الدلالات والإشارات التي تهيمن على المرجع وتجعل منه صورة لواقع دلالي يجعل من المشهد ترجمة لمحيط ثقافي يعيد صياغة المواقف ، كما تريد أن تتيح لخطابها مساحة أكبر تمكنها من التأقلم مع هذا المناخ الثقافي الذي يرفض وجودها تماشيا مع تناقضاته وتعارضاته، إن الناقدة تحاول من خلال نقدها الأطر الفكرية والاجتماعية التي تسود المنطقة العربية إحداث نوعا من إدراك الوضع الراهن بحيث تركز علي نقد المشهد المرئي الذي تبثه إسرائيل من خلاله تجديد لغة خطابها، وفق المرجع الحي والمشهدي الذي تخلفه في الأرض الواقع حتى يتسنى لها تجاوز الخطاب الشفهي ولا يظل خطاب اللغة مزيحا لخطاب ما هو راهن خلف مشاهد حقيقية لأساليب قمعية "انه مشهد حي مازال في القراءة الشفهية وفي الوعي الصامت، أو التعبير الصوتي المصدوم، مرجع حي يعيش في لحظة انكسار ،وحاضر في وعي مباشر معيش تحت هول المرئي ، وهو الذاكرة الراهنة محمول كأنه لا يري ، أو كأنه مطابق بين الذهني المضموني والمشهد الملموس، وهو في كل ذلك يشكل مادة لمقولة الاحتلال "[20]، وقد يكون التصوير المشهدي المرئي من أكثر العوامل التي تؤول الحدث ثم تلغيه بحيث يشكل متخيل فكري ينهض في علاقة الصورة المرئية مع مقاربات اللغة السياسية لإسرائيل في حقيقتها، فالتركيب الإعلامي لخطاب إسرائيل المضاد يجعلها في صورة الحمل الوديع متجاوزا بذلك الحوار المقدم لرمزية الحياة و الاحتلال آو الدفاع كما تسميه هي و عل أساسه يتم تصنيفها إذا كانت المسيطر أو المسيطر عليها وان كانت المتهم أو هي الضحية.

لم تكن الأمور يوما واضحا لان الدكتاتورية المضللة كما جاء عند (جورج اورويل) تجعل إسرائيل الطرف المقاوم، هي لم تقل ذلك إنما خطابها الإعلامي قد أحال إلي ذلك "فيتقدم الخطاب الإعلامي واجهة التعامل الإسرائيلي مع الأخر ووعيه الثقافي لأن إسرائيل تعاني ، فحسب أزمة ثقافة ، تعود أسبابها لوجودها، وتأسيس هذا الوجود بواسطة عمل عسكري صارم متطورمخيف، وعنيف يحاول ابتداع حقيقة لما ليس حقيقيا، وواقعا لما ليس واقعيا ...بل أيضا لان وجودها يواجه واقعا وتاريخا هما مصدر الحقيقة في كلام يخص القضية الفلسطينية وأرض فلسطين والأراضي العربية التي احتلتها إسرائيل تباعا في حروبها المتعددة "[21]، و قد أشارت الناقدة تباعا إلي قضية مهمة تهاجم واقع الوجود الإسرائيلي على الأراضي العربية، تمثل في الجانب التاريخي الذي يؤكد صمود إسرائيل كدولة كل ما تسني لها ذلك وأتيحت لها فرصة، وبهذا يمكن القول بأن اهتمام الناقدة يترجمه هذا الإقرار بسياسة الوهم التي تصنعها إسرائيل، ومنه فخطابها الإعلامي أحد أهم وسائل الحرب " فلم تكن إسرائيل تخشي كما تدعي ردة فعل عسكرية ضدها بقدر ما كانت تخشي مقاومة ، أي أن يشكل مشهد الدمار معنى مقاومي يتجذر في الوعي والذاكرة والثقافة لدي العربي، معني ينتقل من المرئي المحسوس ومن الوعي المباشر الراهن إلي ذاكرة ثقافية ووعي منسوج، في لغة قابلة للتوارث"[22]، وهذه القراءة التأويلية تدفع بالناقدة إلي تفكيك المهمش الخاص من كيان إسرائيل و حربها واجتياحها للأراضي العربية ومحاولة كبتها لمعاني المقاومة الثقافة نتيجة المعاناة الكبيرة التي لحقت بها نتيجة عجزها عن قبول واقع اجتماعي مدمر البنى، تتحكم فيه سياسة عالمية تعمل على احتواءه داخل عباءة الجهل الثقافي، إن لم نقل إلغاءه جملة وتفصيلا، كتلك التفسيرات النقدية الصريحة والتأويلية بعد تشابك المعاني الدلالية التي يريدها كل طرف من أطراف الحرب، خاصة ما تعلق بإسرائيل وما تخفيه، كما يفصح الخطاب الكولونيالي عنها كدفاع لا مرئي يقلق إسرائيل ويدفع بها إلي إعادة حساباتها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من جهة أخري تقلب الناقدة صحة المضامين الفنية والإبداعية لكيان إسرائيل، في بيئة يغمرها الخوف الذي تزرعه على الدروب الوعرة والسهلة حتى تحكم الخناق على الأخر العربي، ومن هذا المنظور يكون النقد ربما كالنص الأدبي أو أعمق يتجسد في كيان لغوي يقلق ويضطرب ويروي ويحكي ويقاوم ، يفعل ما تفعله كل اللغة ما تفعله الأسلحة ما يفعله الإعلام، كل ذلك بين السكون والثورة ، فالوعي الثقافي الحالي الذي يولد في هذه البيئة مبادئ هامة تقوم عليها المقاومة و المواجهة، يؤدي إلي صراع التيارات الأدبية والنقدية، وإحاطة الخطاب بنموذج يصطبغ بخصوصية السياقات المحيطة به، لأن إسرائيل لا يمكنها رغم ترسانتها الدفاعية أن تحد من هذا الوعي، ولن يكون الأمر أشبه برصاصة توقف الزحف البشري ولا طوق أمني يحاصر الأمكنة، ولا جندي تقذفه بقذيفة من صواريخها، أو تضعه في سجونها، إنما هو وعي لأمة تكبدت عناء الاحتلال وعاشته لسنوات، وأصبحت تعيش اللا خضوع فيأخذ هذا الشكل المقاومي مفارقة سياسية تدخل في حساباتها وانتقالها من مرحلة إلي أخرى، تقول يمني العيد "هذه الحالة الاجتماعية وهذا الوضع الثقافي، هما كما يبدو لي ما تخشاه إسرائيل ، فهما معني قوتنا ، ورافعة حقنا، وحقيقتنا، وهي إذن تسعي لتحويل معاني المشهد بواسطة خطابها الإعلامي ، فإنها تهدف إلي خلخلة تلك الحالة أو الحؤول دون تكونها، كما أنها تهدف إلى ثقب ذاكرتنا وتبديد وعيينا بما تحمله هذه الذاكرة من معاني نقرأ فيها حقا لنا، ونجد فيها سندا يساعدنا على تحررنا وصنع حياتنا ومستقبلنا الأجمل"[23]، وخلافا لذلك فإسرائيل تعاني من نفس النموذج الإعلامي كونه يستشرف الواقع ينظر نظرة عادلة لا تخفي أي شيء لحسابها، على غرار ما تحدث عنه (ألان فينكللروت) وهو فيلسوف في مقال كتب في 22 نوفمبر 2000 جاء في هامش كتاب باسكال بونيفاس (من يجرؤ غلى نقد إسرائيل)" انه يشكو من وسائل الإعلام التي تكرس مساحة للضحايا الفلسطينيين، أكبر من المساحة المكرسة لضحايا الإسرائيليين، لأنهم كانوا أكثر عددا، وكان يعترف بالطابع الكابوسي الذي تمثله المستوطنات كمصدر إذلال للفلسطينيين، ووفقا له فان الفلسطنيين بالنسبة لليهود لا وزن لهم أو ستظل في ذاكرتي لفترة طويلة صورة حديثة ليهودي كان يجوب الشوارع المهجورة لمدينة ممنوعة على العربي أثناء حضر تجول شامل، لا شيء يجسد خطأ إسرائيل أكثر من هذا ..."[24] .

ما يمكن استخلاصه من الطرح الذي تقدمه الناقدة في قراءة الخطاب الإعلامي الإسرائيلي كونه خطابا يواجه واقع الثقافة بشيء من الخبث والدهاء، "فإن التبريرات التي جسدت تاريخا هشا أضحي اليوم أكثر تداولا واعترافا من التاريخ العربي الحقيقي، تعددت فيه الأقنعة والصور المتغيرة لمراوغة الواجهة السياسية، وخلق معايير جديدة على الساحة الأدبية والنقدية والاجتماعية، خصوصا لما تميزت به هذه الأقنعة من القدرة على استفزاز العقول وطرح الكثير من التساؤلات المختلفة في ميدان المواجهة حين "يتوخي مثل هذا الخطاب خلخلة المعنى المحسوس لمشهد الاحتلال الحقيقي ، وتقديم معني أخر بديل يؤول المشهد ويشرع اللغز ويسقط عليه صفات الدفاع والإصلاح ، ما فيه تمهيد القبول بإسرائيل .."[25]، وما تلاحظه الناقدة أن سطوة هذه العملية تؤرخ في تقديم إعلامي وأدبي ونقدي يلغي وباستمرار أحقية هذا الشعب في إنماء المقاومة التي تتم على أساس مواجهة إسرائيل كدولة لاحتلالها فلسطين وجنوب لبنان، والنقد التاريخي كثيرا ما يقف عند النظرة التي ترى استعلاء الفرد اليهودي وسموه بدينه وعقيدته عن بقية الديانات وأهميته ومشروعيته وأحقيته بخلافة الأرض والبشر"، أضف أن كلمة (مخرب) هي تقويم موضوع في الخطاب الإسرائيلي، على مستوي الهوية والطبيعة والأخلاق، أي على مستوى العرق، وبذلك نجد مفهوم مخرب شراكة في مفهوم تفوق العرق الإسرائيلي الموصوف بالنقاوة والصفاء" *[26]، ناهيك على أن الخطاب المقاوم الذي تشنه الناقدة على الصورة الصهيونية والتي تبثها عبر خطابها الإعلامي الموجه إلى العالم لا يغدو أن يبتعد عن ما "تمسه كتابات إدوارد سعيد الطابع المتناقض للهوية الإسرائيلية اليهودية الصهيونية، ويعبر عنه في عناوين كتبه ومقالاته مثل "الصهيونية من وجهة نظر ضحاياها " و"ذنب الضحية ".

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بل و أكثر من ذلك ، فكتابات سعيد تشهد علي سخرية تاريخية لجهة أن الرموز الثقافية لليهودية، وبالأخص الخطاب الصهيوني من نفي ومنفي و ترحال ووطن، إنما تصف الحال الفلسطيني ولم تضطر إسرائيل إلا في حالات منعزلة أن تتواجه مع فلسطينيين "متنورين" يتحدثون من داخل الغرب' ويجرون في الوقت ذاته تفكيكا يفك أسطورة العالم المتحضر"[27]، يمني العيد في خطابها النقدي تبحث عن العوامل تجعل من الخطاب يجيب عن الإستفهامات التي تتعلق بجعله نقدا مناهضا لسياسات تتدخل في الشؤون القومية على حساب الهوية، وما أحوجنا في الوقت الراهن ونحن نعيش الحقبة الثورية السياسية إلي مثل هذه الطرائق التي تفكك الخطاب وتبوح بالمسكوت عنه

3- **خلخلة ثنائية اللغة والواقع** : مما لا شك فيه أن اللغة علي الأقل ما تزال تحتفظ بقدرتها في فرض قيم الخطاب ما بعد كولونيالي، وتأكيد بوادر الثقافة الجديدة المسيطرة ونقل مركزية السلطة، بهذا الصدد يمكن القول أن "هناك مشكلة أخري مع اللغة تتمثل في حساسية ما بعد الحداثيين لما أطلق عليه فريدريك(نتشيه)" الرغبة في السيطرة "، وجدير بالذكر أن هذه الرؤية تمثل ترياقا للحفاظ على السياسة باعتبارها ممارسة على الآخرين واللغة وسيلتهم في تحقيق ذلك، فمثلا عندما نحدد أدوار الناس ونتحدث عن الله أو ما يأمرنا به فإننا نحدد توقعاتهم ، ونصمم حدودا لتلك التوقعات وبذلك فإننا نتحكم بالبشر من خلال دمج التواصل اللغوي وتوجيه الخطاب ونتيجة لهذه النظرة، يميل ما بعد حداثيين إلي التشكيك بكل السرديات ويزعمون أن ما يقوله الناس أو ما يكتبونه ليس سوى أداة لضبط الآخرين والتحكم بهم "[28] وعلى هذا كانت اللغة التي تحدد أنماط الكتابة ما بعد كولونيالية، أحد أهم الأسباب التي تبلور النظرة الاستعمارية خاصة في تلك الخطابات الغربية التي ما تزال تحاول تضليل الواقع وتزييفه بأفكار هادمة لهوية المتخيل العربي، من ناحية أخري فان معالجة الناقدة للواقع الحي في مدينة صيدا أثناء الاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان يمثل تحولا في مسارها الإبداعي، بما يتماشى مع مقتضيات المرجع الحي كما تطلق عليه في مقابل فك الاستفهام حول الخطاب الاستعماري بكافة أشكاله، كموقف لفت الانتباه إليه حديثا لتعبير عن هوية الثقافة العربية التي تعيش الاستعمار، وترفض كل تلك المواقف المعلنة والخفية في السياسة العالمية المشجعة لإسرائيل وتناقضاتها، (باسكال بونيفاس) في كتابه "من يجرؤ على نقد إسرائيل " " يتحدث لغة واحدة ، ويخشي اللغة المزدوجة ، وهو محق في ذلك ولكن الازدواجية والتناقضات قد تنبع في المقام الأول من أن العالم ليس موحدا ولا متناغما، ولا يقبل أحيانا اللغة الواحدة المنسقة، وخير نموذج لذلك هو عنوان كتابه الذي قد يكون مقبولا بالفرنسية، أما في الحياة السياسية العربية، فإن نقد إسرائيل يعتبر من المسلمات التي تحضي بإجماع شامل وإذا ذهب إلي أبعد من ذلك سنجد أن النقد الذي مارسه بونيفاس ضد السياسة الإسرائيلية ، قد يكون من الأمور المألوفة في العالم العربي " [29]

يمني العيد تعي التواء الخطاب السياسي الذي يتبادل الأدوار فيكون البطل هو الشرير الساعي إلي الحقيقة في حين تكون الضحية عائق أمام الحدث ، لذلك 'فإسرائيل تراهن علي ضعفها ، وانقسامها ، وتناقضاتها ، وأنظمتنا ، لكن يمكن القول إنها كانت تراهن أيضا على كون هذا المعنى مازال في حدود المحسوس أو المرئي أي أنه لم يكن قد تشكل بعد، لغة في الثقافة والإبداع ، كان مازال في الذاكرة ...والموقف العفوي والمباشر، ولم يكن قد دخل بعد مجالات التفكير والتعبير و إنتاج أشكاله وأدواته ولغته الثقافية المتنوعة "[30] ، وقد تحدث عنه '(أورويل) في تحديد السيطرة، و استخدام اللغة والخطاب لتأكيد نموذج معين من الأفكار التي لا يمكن تأكيدها في الواقع وقد تطرق هذا الأخير إلى طبيعة العلاقة بين اللغة والسلطة الحاكمة علي نحو " الارتباط بين اللغة ونوع السلطة مبدأ= نتيجة للوظيفة التي تقوم بها اللغة السياسية للأنظمة الديكتاتورية الحاكمة فحين تكون الوظيفة الأساسية للخطيب والكتابات السياسية هي الدفاع عن سياسات لا يمكن الدفاع عنها أو تبريرها في الواقع فإن اللغة التي تستطيع جعل الأكاذيب تلبس ثوب الحقائق " تصبح أداة حتمية لضمان استمرار هذا النظام ، وهو ما يؤدي بدورها إلى تدعيم هذه اللغة الفاسدة المضللة وتقويتها حتى تصبح مهيمنة ومسيطرة "[31]، وكذلك تشكل اللغة في محيط مقاومي ووسط استعماري يكسبها هذه الصفة ويجعلها تتأقلم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مع ما يحيط بها بل قد يؤدي إلي تأثير أكبر مما قد تطمح إليه وقد يصل بها الأمر إلي تجاوز الكثير من الخطوات المتبعة في تحقيق الاستراتيجيات والخطط، ويكون خطابها الاستعماري مادة كيميائية تتفاعل مع الواقع لتنتج خطابا انفجاريا يغير معالم الثقافة، ومنه يكون الخطاب الكولونيالي المضاد لهذه اللغة بنفس الدرجة من الخطورة.

إن دراسات يمني العيد النقدية تعبر تعبيرا صريحا عن فعل المواجهة والمقاومة لاستكشاف الدور الفعلي للغة في تفكيك الخطابات الاستعمارية المضادة، وقد كانت مناقشتها مستضيفة للعلاقة بين الخطاب كواجهة وبين الفكر الذي يحاول تحرير أفق التفكير من قوالب التشكيل والدراسة بحيث أضحي الأجدى بالدراسات النقدية دراسة تأثير الأدب والواقع والمرجع وانعكاساته المعركة بين الحرب وشعارات السلام ، كيف لا و الخطابات الأدبية والنقدية والسياسية تتوجه إلي المتلقي بكم هائل من العلامات " فإذا كانت اللغة والعلامات المواقع التي تتقاطع فيها الايدولوجيا المختلفة وتصطدم مع بعضها ، فيمكن تعريف النصوص الأدبية ، كونها مجموعات معقدة من اللغات والعلامات ، بأنها مواقع خصبة للغاية لمثل هذه التفاعلات الأيديولوجية .وعليه ، فهي تعبير معقد بين الفرد الواحد والسياقات الاجتماعية وتلاعب اللغة [32]".إن ثنائية اللغة والواقع محور أساسي من محاور السياسة الصهيونية، وهي عمود تتكئ عليه لتوجيه أنظار العالم إليها ، تري الناقدة أن اللعب بوظيفة اللغة يعد الورقة الرابحة و وسيلة الضغط المتاحة لإسرائيل"أن يحضر الحدث في الكلام ، أن يعرف وتكون له مساحة حضور معناه في لا وعيهم ، أن يتأكد كحقيقة وأن ينصفوا على الأقل على مستوي الكلام /الكتابة ..

أو على مستوي المقروء باعتباره مشاركة لهم واعترافا ، مؤملا على الأقل بحقيقة ما جري لهم خاصة بعد أن عتم الإسرائيليون على هذه الحقيقة بإخفاء شواهدها في الواقع الذي عاشوه محسوسا خلال القصف المهول ، القصف المتواصل ، قصف بيوتهم وملاجئهم ..وفي الواقع الذي يعيشونه لحظة ذاك ، واقع المهانة ، والفقدان ، في ظل هذا الاحتلال لبلدهم" [33]،وهذا يعني أن المشكلة الخطيرة التي تريد الناقدة تصوريها وتفكيك مرامي السياسة التي تسد العالم، أن تعريف الهوية الثقافية بات شيئا أكثر صعوبة مع الوقت ، وبالتالي تفرض اللغة والمشهد والصور المركبة التي تتخذ مظاهر الحداثة وسيلة لقمع المسكوت عنه وإعادة بناء نتائج تسيير العالم بزاوية محددة من قبل الأقوى والمسيطر.

إن الصورة لم تعد تقف عند مجموع الدلالات والإشارات المحيطة بها إنما أصبح الأمر يتعدي إلي موقف الأقوى المرسل، لأن إسرائيل اليوم رغم عدم مشروعية خطابها المزيف ورغم ضعف حجتها إلا أن لغتها هي الأقوى، "وهل نقرأ معاني مصطلحات خطابها على المستوي اللفظي أم في ضوء تلك الأسباب الفعلية، وما تمارسه علي ارض الواقع من أفعال لنسأل عن ماذا يدافع جيش إسرائيل، ومن هم المخربون ومن هم الإرهابيون "[34] بقدر ما تسعى الناقدة إلى زعزعة المعتقد سائدة في الثقافة الصهيونية والتي تنتقل إلينا عبر سياساتها وخطاباتها المدعمة من قبل الثقافة الغربية بقدر ما تولي أهمية لمعالجة النصوص و اللغة والواقع المجسد في الإمكانيات التي توجدها مستويات البنية الاجتماعية، وهنا بالتأكيد لا يمكن إغفال التراكمات التي تنتج من اتحاد العلاقات التي تتعدي في ماهيتها تلك العلاقات اللغوية من حيث هي وسيلة تواصل أو تعبير لحالة ثقافية لجماعة معينة من جانب أخر فاللغة لا يمكن أبعادها عن مفاهيم العولمة الحديثة التي تستقرء أوجه الثقافة، تغيب الواقع إذا لم تكن تختزله في صورة محددة وهناك دائما وجهان متناقضان لشيء واحد، كل منهما يسعي إلي فرض صفاته على الأخر سواء كانت اللغة التي تبني واقعا افتراضيا تحكمه قوانين تفكيكية تلغي علاقات الدال والمدلول، أو بين واقع حياتي مهمش ومدمر في كثير من الأحيان يتخذ من هويته الثقافية وسيلة هشة لدفاع عن الحصار الاقتصادي أو حتى الثقافي " ويتم الصمت عن ممارسات الكيان الصهيوني الإرهابية والمحددة للقرارات الدولية ضد الفلسطينيين واللبنانيين "[35] فالوضع الحالي للسياقات الاجتماعية التي تتواتر بشكل سريع يجعل من الوضع اللغوي يفرض أو يصك العديد من المصطلحات الحديثة حتى يترجم الواقع الاجتماعي خاصة تلك التي تعلقت بصراع الحضارة وخطاب المقاومة و إعلان الرفض لتحقيق الهوية،و تناقض

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مصطلحات اللغة المرسلة مع الواقع التراثي اللغوي العربي، " فإن كانت الهزائم العربية المتوالية قد أثارت من جديد طرح أسئلة الهوية والتراث والخصوصية من منظور عرقي طائفي في الغالب، فإن الساحة الدولية تساهم في تعمق هذا المنظور "[36] .

4- **الهامشي و خطابه المضاد:** ترتكز يمني العيد في رؤيتها على نقد خطاب أدبي إعلامي مرجعي وحي في الوقت نفسه مرتبط بما ليس حقيقي، وتتدرج هذه الرؤية في خطاب يتأقلم مع الدراسات الثقافية، التي تنظر لمحتوي النقد على أنه ذريعة للمقاومة لتجاوز الواقع الذي يهيمن على وعي أمة تناقض الحياة والدين والاستقلال والحرية والتعبير، وتلبس أقنعة مزيفة تعمل على هدم المهم وتعيد صياغة الهامش الفكري المكتوب والمسموع، بات المهم في نفسها "يحمل معني يخص الكتابة وهي تنتقل من شرطا الأول إلي شرطها الثاني ، أي من شرطها الظرفي المحدد خلال الحرب بوجود مكان لا يبلغه الرصاص فيلغيها، وبنور شمعة يرفع الظلمة ويسمح برؤية الحروف ترسم علي بياض الورق إلي شرطها الأكثر مساسا بجوهرها وهو الشرط الذي يطرح السؤال ما علاقة الفاعل بموضوعه؟"[37]، الناقدة تعيش واقع الحياة العربية في لبنان ومحطاته التاريخية التي تنبض في كتب التاريخ في السيرة والرواية والشعر والمسرح والموسيقي والنقد وغيرها، كلها فواصل من حياة عربية أرقها الهجوم، وأرقتها الحقب الاستعمارية والثقافة الوافدة وهي التي طالما عرفت بالسلم والحب والتدين.

كان السؤال كيف يتكون النص الأدبي في ظل تناقضات السلطة التي تصوغ كل شيء بما يتناسب معها ؟، لذلك كان على يمني العيد أن تكتب من أجل أن تنتشل بقايا لبنان من مخالب الموت، وتستعيد حضورها في عقول الأجيال القادمة، لن تكتب عن وعي المقاومة كشكل من أشكال الثقافة، إنما هو وعي تتوارثه الأجيال العربية مع فارق بسيط تمثل في اغلب الأحيان إما في التعبير عن الشكل المقاومي أو التعبير عن الثقافة المضادة التي تحتكر الوسط الاجتماعي، وتتعمق في خريطة بنية الهوية وعلاقاتها بالخطاب الكولونيالي، الذي اصطبغ في معظم الكتابات العربية بالمقاومة والنضال ضد الاستعمار "يقول هول من الممكن أن نفكر بالهوية الثقافية بطريقة ذات صلة ولكنها مختلفة ، وبطريقة تقر بأن الهوية مسألة الصيرورة والكينونة . وهكذا ، لا يمكن للشعوب المستعمرة ببساطة العودة إلى فكرة الثقافة ما قبل الكولونيالية الجماعية "[38]، والكتابة التي عاصرت الحرب تشهد على أن العالم ككل يتفرج على مهزلة التواطؤ مع إسرائيل، كل العالم يشترك في حرب ضدنا، ضد هويتنا وثقافتنا ومعتقداتنا والأكثر من ذلك يستبيح دمارنا وهلاكنا، واستعمار بلادنا، لذلك تري يمني العيد أن المشهدي النصي للكتابة في زمن الحرب "أشبه بخشبة مسرح يجري عليها العرض ، وفي العرض ذاته ينهض البرهان والدليل وكأن الكاتب لم يعد بحاجة إلي أن يكون قائلا، أو أن يتقدم بنفسه بأناه شاعرا ، أو ببطله راويا مباشرا يقول : إنه الآن خلف الستارة لا خلف بطل يملك الحقيقة دون لبس أو التباس، ولا خلف شخص يعلن بالخطاب، إنه الآن في القاعة، أو في الشارع، إلي جانب آخرين ينتظر منهم، ولا يقف على منبرا يخاطبهم ، فالنص مادة تشهد على ذاتها "[39]

يستفز يمني العيد خطاب إسرائيل لأنها تقرأ فيه نظاما دكتاتورا قمعيا، تزداد شهيته للتدمير والقمع ظنا منها أنها الوسيلة الوحيدة للبقاء تراهن من خلاله على مستقبلها، فلم يعد أيّ شيء يترك للمصادفة، كلّ خطوة نحوه عبارة عن ملايين من الأسئلة، يصعب في الوقت الرّاهن الوصول إلى حقيقة معيّنة بشأنها، كما أن كلّ المصطلحات قد تحلّ محلّ غيرها كما جاء في كتاب "علي حرب" (حديث النّهايات – فتوحات العولمة ومآزق الهويّة) "بهذا المعنى ليس المستقبل نموذجا متقدّما نحاول احتذاؤه، ولا هو مشروع نسعى إلى تنفيذه انطلاقا من فكرة مطلقة أو نظريّة جاهزة للتّطبيق، وإنّما هو ما نصنعه بأنفسنا وعالمنا، عبر ما ننتجه من وقائع أو ما ننجزه من الحقائق"[40]، ما تقوله إسرائيل هو واجهة لما ستفعله في المستقبل، تمهيد جزئي للفوز بشيء أكبر والخطاب الإعلامي يساهم في ترويج أفكار من هذا النوع ، وهنا يتشكل للعالم نوع من فهم التناقض الحاصل "فهل بإمكان الخطاب الإسرائيلي أن يكون أكثر صدقا وحقيقة من كلام

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النّاس، من الواقع الّذي عاشوه وعانوه"[41] ، فكفيل بالثّقافة أن ترسم كيانها على مقاسها وعلى اللّغة أن تترجم صدقها، كصورة تهزّ العالم لأنّه "لا شكّ أنّ ما يحدث اليوم يشكّل تغييرا هائلا في مشهد العالم تدخل معه البشريّة في عصر جديد يسيطر فيه المجال البصري، حيث يطغى الشّاهد على الغائب والمرئي على المقروء، والصّورة على الفكرة، والإشارة على الدّلالة، أمّا الفضاء الّذي يتشكّل فيه فإنّه يتيح لأوّل مرّة ليس مجرّد السّمع والرّؤية من على بعد بالمعنى الّذي نعرفه، بل يتيح أيضا اللّمس والحسّ"[42].

اللّغة لن تكون ذات فائدة، ونقدها سيكون كذلك أيضا، إذا لم يتجاوز عتبات النّص الكتابي إلى النّص المشهدي، وتقديمه لعالم انحيازي "فوري ومباشر ومشهدي، إنّه زمن عابر للحدود بين القارّات والمجتمعات واللّغات، عبر طرقات الإعلام المتعدّدة وشبكات الاتّصال الفوري، الّتي تنقل الصّور والرّسائل والعلامات بالسّرعة القصوى"[43]، وفي أوّل الحديث، وللوهلة الأولى نتوقّف قليلا عند ما تحدثت عنه العيد، وقد نقف في طريقنا هذا عند مصطلح ما بعد كولونياليّة تلك النّظريّة الّتي تحلّل خطاب الاستعمار وتعيد قراءة التّاريخ من وجهة نظر المستعمر، النّقد المعاصر يستجيب لإرث المشاريع الكولونياليّة الثّقافيّة، الّتي حاولت التّكيّف، أو المقاومة، والنّاقد يركّز على جانب من هذه الدّراسة وإن كان إدوارد سعيد بداية لنموذج المثقّف المقاوم الّذي "نظر إلى الثقافات المختلفة، ودور المثقّف في تحرير الدّراسات الإنسانيّة، وإضفاء الصّفة الشّرعيّة والوثوقيّة على التّشكيلات الثّقافيّة، من خلال إعادة تأويل التّاريخ، وينطوي إعادة التّفكير النّقدي في التّاريخ لدى سعيد على أهميّة دلالتين بالغتين، ولاسيّما أنّها تأتي في خضمّ بروز مجموعات متعدّدة وقويّة من الاستجابات وردود الفعل تجاه عصر شهد إعادة هيكلة كونيّة، حيث تمضي القوى الإمبرياليّة المترصّدة في التّأثير على الثّقافة والسّياسة العالميتين"[44]، إدوارد سعيد اختار طريقة نحو نقد نماذج الثّقافة الحديثة التي تترصّدها القوى السّياسيّة وتعيد كتاباتها كما تشاء، إدوارد سعيد لم يخرج عن نطاق كونه عربيّا فهو نموذج للمثقّف العربي الّذي يقاوم إغراءات الكتابات، يشرح الخطابات الاستعماريّة لتبرز شخصيّة الفلسطيني العربي الّذي يعاني هاجس الاستعمار، و كذلك يمنى العيد تسعي إلي أن تواجه خطابا إسرائيليا استعماريا، وهذا التّوجّه كفيل وحده لإحداث مفارقة في خضوع الثّقافة وتحليل أبجدياتها الأوليّة، فبعيد عن أقاويل الصّحف، بعيدا عن غناء الشّعر، وعن خيال السّرد، تعيّش النّاقدة الواقع، تنفرد به قبل أيّ شيء، قبل أن يعود إليها إدراكها المعرفي، فالمتكلّم هنا إدراك إنساني امتزجت رائحته بالنقد، لا تزال فردا من مجتمع شهد الحرب عاش الحدث وطابق الدّال والمدلول وأسقطه على المرجع الحياتي الحقيقي الحي، كل هذه الأولويات تجتمع في كفّة واحدة "فنحن نعادل بين ما يقدّمه الخطاب الإسرائيلي على أنّه حقيقة ويقول بأنّ ما حلّ بسكّان المدينة الصّغيرة، أو المجزرة كان بسبب المسلّحين الفلسطينيين الّذين أخذوا مدافع لهم بين البيوت، وبين حقيقة أخرى هي وراء اجتياحها للبنان وتلك المجزرة/ المجازر الّتي أوقعتها بالمدينة/ المدن وأهلها"[45]، هنا تتحدّث يمنى عن أهميّة استغلال سلطة الخطاب لتوجيه نموذج الرّؤى والآراء الّتي تبلور الفكر الإسرائيلي، فسلطتها ومشروعيّة أعمالها لم تكن لتصل لما هي عليه لو كانت قد استغلّت سلطة جيشها العسكري فقط، إنّما هي تضع في حسابها أهميّة سلطة الخطاب الموجّه للعالم، كتعبير رمزي لسلميّتها، لضعفها، لخوفها الّذي يدّعي موقفها الإنساني "بالنّسبة للصهيونيّة الّتي اتّخذت موقفا يدّعي العدل على المسرح العالمي، فإنّ مجرّد تصوّر ضحاياها هم الفلسطينيين الّذين أجلوا على يدها ويحلمون بالعودة إلى أراضيهم، ينطوي على نوع من العنف المفهومي الإبستمولوجي"[46] ، ولا يخفي على النّاقدة أن ذرائع إسرائيل تجعل من خطابها يكتسب مشروعيّته و به تعلن سلامها الّذي أبت الدّول العربيّة بقاءه. تعلن عدلها الّذي استغلّته الدّول العربيّة لذلك، كان خطابها عسكريا، تقنّن هذا الأخير بآخر أدبي، سمعي، مشهدي، يسلّط الضّوء بسلطته على تقنين المرجع الحي واستبداله بآخر تصنعه ثقافتها الاستعماريّة تقول يمنى العيد "وهل نقرأ معاني مصطلحات خطابها على مستواه اللّفظي أم في ضوء تلك الأسباب الفعليّة، وما تمارسه على أرض الواقع من أفعال لنسأل عن ماذا يدافع جيش إسرائيل ومن هم المخرّبون و الإرهابيّون؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول روبرت فيسك:

لئن كان الإرهاب هو هجوم بالكاتيوشيا على الجليل (حيث كان يعيش الفلسطيني) قد قتل واحـــدا أو اثنـــين، أو خمسة أوحتّى عشرة، فماذا يقول الإنسان عن هذه المقبرة الجماعيّة (قبو المدرسة الابتدائيّـــة وملجـــأ بنايـــة جـــاد فـــي صيدا"[47].

ليست يمنى وحدها من تحلّل خطاب إسرائيل، ليست وحدها من تطابق المقول على الواقع، روبرت فيسك، بعيدا عن الحمى العربيّة، بعيدا عن مبادئها الثّقافية يتكلم ينادي إلي رفع الستار عن الواقع إنساني الحي الذي تعيشـــه مدينـــة صيدا بانتفاضتها، فيتحدث عن تناقض واقع وثقافة لا تنطبق على "ويلات وطن"* بين إرهاب لفظي نسبة إلى الفلسطيني، إلى إرهاب ضمني تخبّئه القوى السّياسيّة وتنميّة تسمياتها المعتادة "جيش الدّفاع" يخلق الموت والدّمار والحرب ومع ذلك لا يكتسب صفة الإرهاب إنّما صفة الشّرعيّة، النّقد يركّز على تحليل سلطة الخطاب الّذي يلغي الواقـــع، ويحـــلّ محلّـــه تركيب افتراضيّ تخلقه إسرائيل، وتقاومه يمنى بخطاب مضاد أخر وظيفته تعرية الزيف والتهميش الذي تعيشه الأوطان العربية وينعكس بشكل جلي علي الكتابة الإبداعية ومنه الكتابة النقدية التي تحاول أن تمارس نفس الوظيفة وتؤدي نفس الهدف البطولي كما يحصل في الساحة والرواية والقصيدة والصحافة والمحطة الإعلامية كلها تسعي إلي الحفـــاظ علـــي الوطن .

خاتمة :

نستخلص مما قيل سابقا أن غياب القوانين التي تتحكم في تسيير العالم في ظل تباين المجتمعات والثقافـــات، قـــد أدي إلي انتشار نوع من الفوضى وهذا أمر طبيعي بعد الاستغناء أو ما يمكن أن نقول عنه تهميش لكل تلك المنطلقـــات الفكرية والتاريخية، التي تؤسس كل أمة على حدا ونتيجة لذلك فقد اشتد الصراع سواء على المستوي المعنوي أو علـــى المستوي المادي المحسوس، ولا يخفى علينا هنا أن نذكر سعي الخطابات إلى فرض نفسها في الساحة العالمية كســـلطة تستمد قوتها من المحيط السياسي، الذي تسبح فيه بحكم غلبته وقدرته علـــى احتـــواء العـــالم ككـــل تحـــت مفاهيمـــه ومصطلحاته، ويمني العيد واحدة من أولئك المفكرين المؤيدين لفكرة الخطاب العربي المعاصر الذي يحـــاول مواجهـــة الخطاب السياسي وانعكاساته على الواقع الاجتماعي والأدبي، الروائي الشعري و حتى الإعلامي، الذي يفرض نفســـه كسلطة تؤدي إلي ترويج أفكار تخدم مصلحته السياسية بالدرجة الأولي، ولا يخفي على الناقدة أن ما تواجهه وراء هـــذا النوع من الخطاب هو القيم السياسية والدينية والإعلامية والأدبية ومرجعها الحي .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الهوامش :

[1] يمني العيد ، الكتابة تحول في تحول ، مقاربة للكتابة في زمن الحرب اللبنانية، دار الاداب ، ط1، بيروت ، 1993 ، ص07

[2] المرجع نفسه ص 25.26

[3] ادوارد سعيد : خارج المكان ، تر : فواز مذكرات ، دار الآداب ، بيروت ط1، 2000 ، ص09

[4] يمني العيد ، زمن المتاهة ، سيرة روائية 2 دار الآداب ط1 2015 بيروت، ص 11

[5] المصدر نفسه ، ص 74

[6] تومادو كونانك ،الجهل الجديد ومشكلة الثقافة ، تر : منصور القاضي ، مجد للدراسات والنشر والتوزيع ، ط1 ، بيروت ،2004 ص 62

[7] يمني العيد : الدلالة الاجتماعية لحركة الأدب الرومانطيقي في لبنان (بين الحربين العالميتين)، سلسلة دراسات نقدية ، دار الفارابي بيروت ، 1979 ، ص230

[8] يمني العيد : في النفاق الإسرائيلي ، قراءة في المشهد والخطاب ، دار الفارابي ، بيروت ، ط1 ، 2003، ص 09

[9] شيلي وليا ، ادوارد سعيد وكتابة التاريخ ، تر: أحمد خريس ، وناصر أبو الهيجاء ، دار أزمنة ط1 2007 ص 28

[10] مصطفي خضر، النقد والخطاب ، محاولة قراءة في مراجعة نقدية عربية معاصرة ، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق 2001، ص30

[11] يمني العيد ، تحول في تحول ، مقاربة للكتابة في زمن الكتابة اللبنانية ، ص 28 [11]

[12] عبد المنعم الحفني، عالم بلا يهود ، دار الرشيد للنشر والتوزيع ، ط2 ،يناير 1998، ص87

[13] يمني العيد، في النفاق الإسرائيلي ، ص 11

[14] المرجع نفسه ص 21

[15] المرجع نفسه ص 11

[16] المرجع نفسه ص 20

[17] المرجع نفسه ، ص 153

[18] يمني العيد ، في معرفة النص (دراسات في النقد الأدبي) ، منشورات دار الأفاق الجديدة ، بيروت ط 02 ، 1984 ،ص 14

[19] يمني العيد ، في النفاق الإسرائيلي ، ص 12

[20] المرجع نفسه، ص 20

[21] المرجع نفسه، ص 23

[22] المرجع نفسه، ص 23

[23] المرجع نفسه، ص24

[24] ينظر باسكال بونيفاس، من يجرؤ على نقد إسرائيل تر أحمد الشيخ، ط1 المركز العربي للدراسات الغربية ، القاهرة ، 2004 ،ص 39

[25] يمني العيد، في النفاق الإسرائيلي ، ص29

[26] المرجع نفسه ص 28

- مما جاء في كتاب (دراية دايفيد تروي) للكاتب اليهودي الإنجليزي "بنيامين درزائيلي" ونقده ، بأن ما أراد درزائيلي قوله باختصار "أن اليهود هم المهيأون الوحيدون لقيادة الكون

[27] شيلي واليا، ما بعد الحداثة، إدوارد سعيد وتدوين التّاريخ، تر: عفاف عبد المعطي رؤية للنّشر والتّوزيع، ط 01، القاهرة، 2006، ص56-57

[28] أماني أبو رحمة، أفق يتباعد من الحداثة إلي ما بعد الحداثة ، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع ، دمشق 2014 ، ص 57

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[29] باسكال بونيفاس : من يجرؤ على نقد إسرائيل، ص 13

[30] يمني العيد ، في النفاق الإسرائيلي ، ص 32

[31] اللغة والثورة -نقد الخطاب ..في أعمال جورج أوريل ، عماد عبد اللطيف، مجلة نزوى العدد 69/يناير 2012 ـــ، ص 50

[32] أنيا لومبا ، الكولونيالية وما بعدها ، تر: باسل المسالمة ، دار التكوين للتأليف والنشر ، ط1، 2013 ، ص 101

[33] يمني العيد ، في النفاق الإسرائيلي : ص 54

[34] المرجع نفسه ، ص73

[35] نصر حامد أبوزيد ، دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة، المركز الثقافي العربي، ط3، بيروت،2004، ص182

[36] المرجع السابق ، ص 182

[37] يمني العيد ، الكتابة تحول في تحول ، ص 40

[38] أنيا لومبا ، الكولونيالية وما بعدها ، تر د.باسل المسالمة، دار التكوين ،ط2013،1 ،ص 230

[39] يمني العيد ، تحول في تحول، ص 44

[40] علي حرب، حديث النّهايات، فتوحات العولمة ومآزق الهويّة، المركز الثّقافي العربي، ط 02، 2000، المغرب، ص 09.

[41] يمنى العيد، في النّفاق الإسرائيلي، ص 87.

[42] علي حرب، حديث النّهايات، ص 98.

[43] المرجع نفسه، ص 99

[44] شيلي وليا، إدوارد سعيد وكتابة التّاريخ ، ص 13.

[45] - يمنى العيد، في النّفاق الإسرائيلي، ص 72، 73.

[46] شيلي وليا، صدام ما بعد الحداثة، إدوارد سعيد وتدوين التّاريخ، ص 58، 59.

[47] يمنى العيد، في النّفاق الإسرائيلي، ص 73.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com